مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أعمال الرسل ٦:١-٧)

في تلكَ الأيامِ لمَّا تكاثَرَ التلاميذُ حدثَ تذمُّرٌ مِنَ اليونانيينَ على العبرانيينَ بأنَّ أراملَهُم كُنَّ يُهمَلنَ في الخدمةِ اليوميَّة* فدعا الاثنا عشَرَ جمهورَ التلاميذِ وقالوا لا يَحسُنُ أنْ نترُكَ نحنُ كلمةَ الله ونخدُمَ الموائدَ* فانتخِبوا أيُّها الإخوةُ منكُم سبعةَ رجالٍ مشهودٍ لهم بالفضلِ ممتلئينَ مِنَ الروحِ القُدُسِ والحكمةِ فنُقيمَهُم على هذه الحاجة* ونواظِبُ نحنُ على الصلاةِ وخدمةِ الكلمة* فحَسُنَ الكلامُ لدى جميعِ الجمهور. فاختاروا إستِفانُسَ رجلاً ممتلئًا من الإيمانِ والروحِ القدُسِ وفيلبُّسَ وبُروخورُسَ ونيكانورَ وتيمُنَ وبَرْمِنَاسَ ونيقولاوُسَ دخيلاً أنطاكيًّا* وأقاموهم أمامَ الرُّسل. فصلَّوا ووضعوا عليهِمِ الأيدي* وكانت كلمةُ اللهِ تنمو وعددُ التلاميذِ يتكاثرُ في أورشليمَ جدًّا. وكانَ جمعٌ كثيرٌ مِنَ الكهنةِ يُطيعونَ الإيمان.

العدد ٢٠٠٦/١٩
الأحد ٧ أيار
أحد حاملات الطيب
ويوسف الرامي ونيقوديموس
تذكار علامة الصليب التي ظهرت في السماء على مدينة أورشليم
اللحن الثاني
إنجيل السَحَر الرابع

القديس جرمانوس القسطنطيني

«تكرَّس لله منذ فتوته نظير صموئيل النبي واقتدى بالآباء القديسين فانتشرت كتاباته في كل العالم. صدح بمديح الله بالصوت الملآن وتناول الكلام الإلهي كسيف ذي حدّين شهره في وجه كل المناهضين للتقاليد الكنسيَّة».

هذا بعض ما قاله آباء المجمع المسكوني السابع (٧٨٧) عن القديس جرمانوس بطريرك القسطنطينية (٧١٥-٧٣٠) الذي نعيِّد له في ١٢ أيار، والمعتبر من أهم المدافعين عن إكرام الأيقونات أمام مَن حاولوا تحطيم الأيقونات بمساعدة الإمبراطور لاون الثالث.

وُلد القديس جرمانوس حوالي العام ٦٣٤ من عائلة تنحدر من سلالة امبراطورية. قتل الإمبراطور قسطنطين الرابع والد جرمانوس حسداً، كما خصى جرمانوس ليمنعه من التقدُّم في السلطة، وأرسله ليعيش في كنف كنيسة الحكمة الإلهية في القسطنطينية. هناك انكب جرمانوس على تسبيح الله ودراسة الكتاب المقدس ليل نهار فكان له الكتاب خير معين في دفاعه عن الإيمان القويم والأيقونات.

لمع نجم جرمانوس فانتخب رئيساً لأساقفة كيزيكوس. حارب هرطقة المشيئة الواحدة القائلة بأن للرب يسوع مشيئة واحدة إلهية وان لا وجود للمشيئة البشريَّة. كان جرمانوس يعلّم مع الكنيسة ان للرب طبيعتين ومشيئتين كاملتين إلهية وبشريَّة. تعرَّض للنفي بسبب دفاعه هذا ولكنه عاد بعون الله. انتُخب بطريركاً على القسطنطينية في العام ٧١٥ وتعلَّق به الشعب لفضائله. هناك قاد حملة كبيرة ضد محاربي الأيقونات وعلى رأسهم الإمبراطور لاون الثالث، وكتب الرسائل الطويلة دفاعاً عن إكرام الأيقونات. وفي مواجهة كلامية مع الإمبراطور أنكر جرمانوس على لاون حقه في التدخل في الشؤون الإيمانية والكنسية ودعاه للتوقف عن إزعاج الكنيسة. صفع الإمبراطور البطريرك وطرده، ثم استدعى مدير المدرسة البطريركية فسمع منه كلاماً مماثلاً لكلام البطريرك عن إكرام الأيقونات. طرد المدير وأحرق المدرسة وألقى كُتب المدرسة في البحر.

استدعى الإمبراطور البطريرك مجدداً بحضور كبار الموظفين وحاول إجباره علىتوقيع مرسوم يقضي بإتلاف كل

الإنـجيل

(مرقس ١٥: ٤٣–٤٧؛ ١٦: ١–٨)

في ذلك الـزمـان جـاءَ يوسفُ الذي منَ الرامةِ مشيرٌ تقيٌّ وكان هو أيضاً منتظراً ملكوتَ الله. فاجترأَ ودخلَ على بيلاطسَ وطلبَ جسدَ يسوعَ* فاستغربَ بيلاطسُ أنَّه قد ماتَ هكذا سريعاً. واستدعى قائدَ المئةِ وسألَه هل لهُ زمانٌ قد مات* ولمَّا عَرف مِنَ القائدِ وهبَ الجسدَ ليوسفَ* فاشترى كتَّاناً وأنزلَهُ ولفَّهُ في الكتَّانِ ووضعهُ في قبرٍ كان منحوتاً في صخرةٍ ودحرجَ حجراً على بابِ القبر* وكانت مريمُ المجدليةُ ومريمُ أمُّ يوسَّى تنظرانِ أين وُضع* ولمَّا انقضى السبتُ اشترت مريمُ المجدليةُ ومريمُ أمُّ يعقوبَ وسالومةُ حَنوطاً ليأتينَ ويدهنَّهُ* وبكّرنَ جدًّا في أول الأسبوع وأتينَ القبرَ وقد طلعتِ الشمسُ* وكنَّ يقلنَ فيما بينهنَّ من يدحرجُ لنا الحجرَ عن بابِ القبر* فتطلَّعنَ فرأينَ الحجرَ قد دُحرجَ لأنَّهُ كان عظيماً جداً* فلمّا دخلنَ القبرَ رأينَ شابًّا جالساً عن اليمينِ لابساً حلَّةً بيضاءَ فانذهلنَ* فقال لهنَّ لا تنذهلنَ. أتطلبنَ يسوعَ الناصريَّ المصلوبَ. قد قام ليس هو ههنا. هوذا الموضعُ الذي وضعوهُ فيهِ* فاذهبنَ وقلنَ لتلاميذهِ

الأيقونات في الإمبراطورية. رفض جرمانوس معلناً استعداده للموت، وان للمجمع المسكوني وحده الحق في تقرير مسائل الإيمان. خرج من حضرة الإمبراطور وتوجه إلى كنيسة الحكمة الإلهية حيث وضع أموفوريون OMOPHORION (قطعة من اللباس الكهنوتي يضعها الأسقف حول عنقه دلالة على أسقفيته) متخلّياً عن السدة البطريركية (عام ٧٣٠). وقصد مكاناً بعيداً تملكه عائلته حيث قضى آخر سني حياته بالصلاة والكتابة دفاعاً عن الإيمان، إلى أن رقد بالرب عام ٧٣٣.

إحدى أهم كتابات القديس جرمانوس القسطنطيني كان شرحه للقداس الإلهي في مؤلّف أسماه «التاريخ الكنسي والثاوريا السرية» وقد بقي هذا التفسير متداولاً بين المؤمنين ما بين القرن الثامن والقرن الرابع عشر حين وضع القديس نقولا كاباسيلاس تفسيراً آخر للقداس. ولعل وجود أكثر من خمسين مخطوطة للشرح بين أيدينا تعود لما بين القرنين العاشر والخامس عشر لدليل ساطع على أهميَّة هذا المؤلف وشعبيته.

يشكل تفسير القديس جرمانوس للقداس جسر عبور بين تفسيرات أقدم للقداس تعتمد البُعد الأخروي، أي ان كل ما يحصل في القداس هو صورة لمائدة الملكوت، وبين تفسيرات لاحقة (خاصة مع القديس كاباسيلاس) تعتمد البُعد التاريخي، أي ان كل ما يحصل في القداس هو تصوير لحياة الرب. جمع بين البُعدين بشكل بسيط ورائع: «المذبح يمثّل قبر المسيح المقدس، عليه يقرِّب المسيح نفسه ذبيحة لله الآب من خلال تقدمته جسده كحمل ذبيح. وكرئيس كهنة وابن الإنسان يقرِّب ويُقرَّب كذبيحة سرّية غير دموية محدِّداً للمؤمنين عبادة عقلية من خلالها أصبحنا

شركاء في الحياة الأبدية. هذا الحَمَلُ رسمه موسى في مصر عند المساء عندما أبعد دَمُهُ المُهْلِكَ لكي لا يميت الشعب (أنظر خر ١٢:٧–١٣). التعبير «عند المساء» يعني ان الحمل الحقيقي سيقدَّم ذبيحة عند المساء، الحمل الذي يرفع خطيئة العالم على صليبه: «لأن فصحنا المسيح قد ذُبح من أجلنا» (أنظر ١ كور ٥:٧).

والمذبح هو بالفعل مذبحنا السماوي العقلي. عليه يتمّم الكهنة خدمتهم متمثلين بملائكة الرب إذ ان عليهم هم أيضاً أن يكونوا ناراً ملتهبة» (مز ١٠٤:٤). فالرب الإله «اللابس النور كالسربال»، الباسط السماء كخيمة، جعل السحاب مركبته وهو الماشي على أجنحة الرياح (مز ١٠٤:٢–٣)، وهو قد رسم بنفسه أسس خدمتنا الأرضية صورة لخدمة أجناد السموات.

الهيكل عرش حيث يجلس المسيح مَلِكُ الكل محاطاً برسله وقد قال لهم: «تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر» (متى ١٩:٢٨). انه علامة الملكوت الآتي – وقد ابتدأ الآن وهنا – حين يجلس السيد على كرسي المجد ليدين العالم كما كتب النبي: «استوت الكراسي للقضاء، كراسي بيت داود» (مز ١٢٢:٥)».

أيضاً كانت للقديس جرمانوس مساهمة وتأثير كبيران في تطور بعض الطقوس والصلوات، خاصة فيما يتعلّق بالدخول الكبير وخدمة التقدمة الموجودتين سابقاً بشكل بسيط جداً. إذا ما قارنَّا شرحه مثلاً لخدمة التقدمة والخدمة الحالية للتقدمة نلاحظ هذا التأثير: «ان قطعة الخبز التي يقطعها الكاهن بالحربة من ختم خبز القربان هي الحمل. «كحمل يُساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه» (اش ٥٣:٧).

الخمر والماء هما الدم والماء اللذان

ولبطرسَ إنَّهُ يسبِقكم إلى الجليل. هناك ترَونه كما قال لكم» فخرجنَ سريعاً وفَرَرْنَ من القبرِ وقد أخذَتهُنَّ الرِّعدَةُ والدهَش. ولم يقلنَ لأحدٍ شيئاً لأنَّهنَّ كنَّ خائفاتٍ.

تأمل

«لما كان المساء جاء رجل غنيّ من الرامة اسمه يوسف. هذا تجرأ ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع» (متى ٥٧:٢٧، مر ٤٣:١٥).

جاء المائت إلى المائت يطلب أن يأخذ إله البشر! الجبلة تطلب من الجبلة أن تأخذ جابلَ الكلّ! العشب يطلب من العشب أن يأخذ النار السماويّة! القطرة العدمُ تطلب من القطرة الأخرى أن تعطي المحيطَ بأسره! من شهد ومن سمع بمثل هذا الذي لا يُسمع به قط: إنسان يهب إنساناً آخر صانعَ الكلّ! قاض لا قضاءَ عليه يسمح بأن يُدفن محكوماً عليه وهو قاضي القضاة!

«لما كان المساء جاء رجلٌ غني اسمه يوسف». بالحقيقة هو غنيّ لأنه أخذ شخصَ الرب بكامله. بالحقيقة غنيّ لأنه أخذ من بيلاطس المسيحَ بحضوريه. غنيّ لأنه استحقّ أن يأخذ اللؤلؤة الثمينة. غنيّ لأنه أخذ في يديه خزينةً تحتوي على الذخيرة الإلهية كاملة! كيف لا يكون غنياً هذا الذي حصل على الحياة وخلاص العالم! كيف لا

سالا من جنب السيد كما كتب النبي القائل: خبزٌ يُعطى له وماءٌ ليشرب (اش ١٦:٣٣)، لأن الحربة التي يستخدمها الكاهن هي بمثابة الحربة التي جُرح بها جنب المسيح على الصليب.

الخبز والكأس هما واقعاً وحقاً لتذكار العشاء السري حينما أخذ المسيح الخبز والخمر وقال: «خذوا كلوا واشربوا كلكم هذا هو جسدي ودمي». هذا يظهر أنه جعلنا شركاء في موته وقيامته ومجده.

هكذا فإن الكاهن يأخذ التقدمة الموضوعة في سلة من الشماس ثم يأخذ الحربة وبعد أن ينظفها يقطع القربان بشكل صليب قائلاً: «مثل خروف سيق إلى الذبح ومثل حَمَلٍ بريء من العيب، صامت أمام الذي يجزّه». ثم يضع التقدمة على الصينية ويشير إليها قائلاً: «هكذا لا يفتح فاه. بتواضعه أُخذ حُكمه. وأما جيله فمن يصفه؟ لأن حياته قد ارتفعت من الأرض». وعند ذلك يأخذ الكأس المقدسة ويسكب الشماس الخمر والماء فيها قائلاً: «وللوقت خرج دم وماء والذي عاين شهد وشهادته حق». ثم يضع الكأس المقدسة على المذبح ويشير إلى الخبز، الحمل المقرَّب، وإلى الخمر، الدم المسفوك ويقول: «الذين يشهدون هم ثلاثة الروح والماء والدم والثلاثة هم في الواحد» (١يو ٨:٥)، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين».

ثم يأخذ المبخرة ويضع فيها البخور ويتلو صلاة التقدمة».

الخدمة في الكنيسة

خدمة الآخر هي أن نخدمه في ما يحتاج، وبحسب تنوع الحاجات تتنوَّع الخدمات. في العالم نجد الخدمات الاجتماعية والصحية والثقافية والعسكرية، على مِثال هذه تكون الخدمات في الكنيسة مع الفارق البسيط أن الخدمات في العالم معظمها إختيارية بينما المؤمن الذي تجنّد للمسيح واجبه أن يكون متمثلاً بمعلِّمه: «كما أنَّ ابنَ الإنسانِ لم يأتِ لِيُخدَمَ بل لِيَخدُمَ وليبذُلَ نفسه فديةً عن كثيرينَ» (متى ٢٨:٢٠).

بدءاً نلاحظ أن الإنسان الذي يحب بصدق يكون مستعداً للقيام بأي خدمة وذلك دو ن أن يشعر بالتعب الذي يتأتى عن خدمته. هكذا في العهد القديم بقي يعقوب سبع سنين في خدمة لابان خاله دون ملل بغيَّة الاقتران براحيل ابنة خاله التي أحبها: «فخدمَ يعقوبُ براحيلَ سبعَ سنين، وكانت في عينيهِ كأيَّام قليلة بسببِ محبّتهِ لها» (تك ٢٩:٢٠). إذا كان الإنسان مستعداً لسنين طويلة من الخدمة في سبيل حب أرضي زائل، فكم بالأحرى عليه أن يتكرَّس للخدمة سعياً وراء الحب السماوي الخالد، حب الله.

السؤال الذي يجول في بال كلّ مؤمن صادق في حبّه للرب، هو كيف نخدم الرب؟ يُطلعنا إنجيل الدينونة (مت ٣١:٢٥-٤٦) أن الخدمة التي نقدّمها للآخر هي خدمة للرب، بالتالي علينا أن نساعد كلّ أخ ضعيف كائناً من يكون. من الضروري أيضاً أن يدرك كل مسيحي الموهبة التي أُعطيت له من الله والتي من خلالها يستطيع أن يؤدي بشكل أفضل خدمته للآخرين حسبما جاء في رسالة بطرس الرسول الأولى: «ليكُنْ كلُّ واحدٍ بحسبِ ما أخذَ موهبةً يخدمُ بها بعضُكُم بعضاً كوكلاءَ صالحينَ على نعمةِ اللهِ المتنوِّعةِ. إن كانَ يتكلَّمُ أحدٌ فكأقوالِ اللهِ، وإن كان يخدمُ أحدٌ فكأنَّهُ من قوَّةٍ يمنحُها اللهُ لكي يتمجَّدَ اللهُ في كلِّ شيءٍ بيسوعَ المسيحِ الذي لهُ المجدُ والسلطانُ إلى أبدِ الآبدينَ آمين» (١بط٤: ١٠-١١).

يكون يوسف غنياً بعد أن تقبّل كهدية ذاك الذي يغذّي الكلَّ ويدبّرهم؟ «لما كان المساء»: لقد غاب شمس العدل في الجحيم. لذلك جاء رجل غنيّ اسمه يوسف من الرامة بقي مختبئاً خوفاً من اليهود. جاء معه نيقوديمس الذي كان قد زار يسوع في إحدى الليالي (يو٣:١-٢،١٩:٣٩).

يا له من سرّ خفيّ أكثر من الأسرار كلّها! تلميذان خفيّان يأتيان ليخفيا يسوع في القبر. وبطريقتهما الخفيّة يعلّمان السرَّ الخفي في الجحيم، سرَّ الله الذي توارى في الجسد. الواحد ينافس الآخر في حرارة استعدادهما نحو المسيح. من جهة يقدّم نيقوديموس الدهنَ والطيب بإكرام، ومن جهة أخرى يتقدَّم يوسف المستحق المديح إلى بيلاطس بجرأة وشجاعة.

لكن لماذا، بعد أن رمى عنه كل خوف، يتقدَّم إلى بيلاطس بجرأة ويطلب جسد يسوع؟ عندما يتقدم إليه يأتي بحذاقة كليّة من أجل أن يصيب هدفه. لذلك لم يستعمل في حديثه مع بيلاطس تعابير فاخرة لئلاّ يغضبه ويفشل في طلبه. كما لم يقل له: أعطني جسد يسوع الذي أظلم الشمس منذ برهة، الذي شقّ الأرض والصخور، الذي شقّ حجاب الهيكل إلى إثنين. لم يقل لبيلاطس شيئاً من ذلك على الإطلاق.

القديس أبيفانيوس القبرصي

في هذا الإطار تندرج موهبة الكهنوت، فحيث أنه يوجد كهنوت ملوكي يتمتع به جميع المؤمنين، كذلك يتفرد بعضهم بنعمة الكهنوت الخصوصي، الذين يختارهم الله لخدمته وخدمة شعبه كما اختار قديماً سبط لاوي وجعلهم كهنة: «لأنَّ الربَّ إلهكَ قد اختارَهُ من جميعِ أسباطِكَ لكي يقفَ ليخدُمَ باسمِ الربِّ هو وبنوهُ كلَّ الأيام» (تث ١٨:٥). هكذا إذاً يختار الله الأمناء الذين لم يتركوه ليقيمهم خداماً له: «أمَّا الكهنةُ اللاويونَ أبناءُ صادوقَ الذينَ حرسوا حِراسةَ مَقْدِسي حينَ ضلَّ عني بنو إسرائيلَ فهم يتقدَّمون إليَّ ليخدموني» (حز ٤٤:١٥). بالتالي ليس كل مسيحي مدعوا ليقبل نعمة الكهنوت الخصوصي رغم أن الكل هم مكرَّسون للرب. يبقى أن الشمامسة خدّام الموائد الذين ورد ذكرهم في الإصحاح السادس من كتاب أعمال الرسل، كان يتمّ انتخابهم من المؤمنين. وبالرغم من كونهم مجرَّد خدّام موائد إلا أنه يجب أن يكونوا مشهوداً لهم بالفضل وممتلئين من الروح القدس والحكمة (١تيمو ٣:٨-١٠ و١٢-١٣)، والشمامسة هم المسؤولون عن مساعدة الفقراء والمرضى في الكنيسة الأولى.

هنا تجدر الإشارة إلى ان الخدمة في الكنيسة لا تنحصر فقط بالإكليروس، بل تتنوَّع بحسب المواهب التي يفصّلها بولس الرسول: «فإنَّهُ لواحِدٍ يُعطى بالروحِ كلامُ حكمةٍ، ولآخرَ كلامُ عِلمٍ بحسبِ الروحِ الواحدِ، ولآخرَ إيمانٌ بالروحِ الواحِدِ، ولآخرَ مواهِبُ شِفاءٍ بالروحِ الواحِدِ، ولآخرَ عَمَلُ قُوَّاتٍ ولآخرَ نبوَّةٌ ولآخرَ تمييزُ الأرواحِ، ولآخرَ أنواعُ ألسِنَةٍ، ولآخرَ ترجمةُ ألسِنَةٍ» (١كور ١٢:٨-١٠). ويشدِّد بولس الرسول أن كل هذه المواهب تنبع من الروح الواحد، الروح القدس الساكن فينا.

بعد أن يحدِّد كل منا الموهبة المعطاة له بنعمة الله، يبقى عليه أن يخدم الله وأخاه الإنسان بطريقة مرضية للرب، أي بدون تذمر أو كبرياء أو تسلُّط، بل بانسحاق وتوبة وصمود أمام التجارب كما فعل بولس الرسول: «أخدُمُ الربَّ بكُلِّ تواضُعٍ ودموعٍ كثيرةٍ وبتجاربَ أصابتني بمكايِدِ اليهودِ» (أع ٢٠: ١٩). ولا يظنّن من يخدم ان تعبه قد يذهب سدى خاصة إن كان يخدم بطريقة لائقة، فمع انه من واجب المسيحي أن يخدم دون أن يطلب شيئاً لنفسه ودون أن يسعى للحصول على مجد فانٍ، لكن الله سيجازيه حسناً: «لأنَّ اللهَ ليسَ بظالمٍ حتى ينسى عملكم وتعبَ المحبَّةِ التي أظهرتموها نحو اسمه إذ قد خَدَمتم القديسينَ وتخدمونهم» (عب ٦:١٠). كذلك الرب يسوع أعطى وعداً للذين يريدون أن يخدموه «إن كانَ أحدٌ يخدُمني فليتبعني، وحيثُ أكونُ أنا هناكَ أيضاً يكونُ خادمي وإن كانَ أحدٌ يخدمني يُكرِّمه الآبُ» (يو ١٢:٢٦).

وأخيراً لا بد من لفتة نظر تشجّع من يحب الخدمة في الكنيسة على أنواعها، ذلك أن خادم الرب يسوع يتشبَّه بالملائكة القديسين الذين جاؤوا ليخدموه بعد صومه الأربعين يوماً وتجربة الشيطان له: «وإذا ملائكةٌ قد جاءت فصارت تخدِمُهُ» (مت ٤:١١)، وكذلك من يخدم اخوته البشر هو كالملاك أيضاً: «أليسَ جميعُهم أرواحاً خادمةً مُرسلةً للخدمةِ لأجلِ العتيدينَ أن يرِثوا الخلاصَ» (عب ١:١٤).

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb